جامعة القدس
كلية الدراسات العليا
المعهد العالي للآثار الإسلامية

الزخارف الحجرية العثمانية على سور القدس

دراسة أثرية وتاريخية وفنية

مكتبة الكلية العربية للعلوم الطبية
Arab College of Medical Sciences

رسالة ماجستير مقدمة من

هشام صالح محسن

بإشراف

الدكتور يوسف سعيد النتشه

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الآثار الإسلامية

القدس ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م

المحتوى	الصفحة

المحتويات	أ
قائمة اللوحات (مخططات الزخارف)	ث
قائمة الأشكال	ح
قائمة الصور	د
قائمة الجداول	ذ
شكر وتقدير	ر
مقدمة	ز

الفصل الأول: السور في الفترات الإسلامية	
السور قبل الإسلام	١
السور منذ الفتح حتى قدوم العثمانيين	١٢
السور العثماني	١٣
أسباب بناء السور	١٨
وصف السور وتحليل مكوناته المعمارية	١٩
جدران السور	١٨
الأبواب	٢٣
الابراج	٣١
الشرفات	٣٠
مزاغل السهام	٣٣
السقاطات	٣٥
النوافذ والحنيات المتراجعة	٣٦

الفصل الثاني	
فهرس زخارف سور القدس	
تمهيد	٣٨
وصف عام للزخارف	٣٩
زخارف الجدار الشمالي	٣٩
زخارف الزاوية الشمالية الغربية	٣٩
زخارف باب العمود	٤٠
زخارف باب الساهرة	٤٣
زخارف الابراج ١٠-١١-١٢	٤٥
زخارف الواجهة الشمالية لبرج اللقلق	٤٨
زخارف الجدار الشرقي	٥٠
زخارف الواجهة الشرقية لبرج اللقلق	٥٠
زخارف البرج ١٥	٥٢
زخارف باب الأسباط	٥٣
زخارف الجدار الجنوبي	٥٨
زخارف باب المغاربة	٥٨
زخارف باب النبي داود	٥٩
زخارف أبراج الجدار الجنوبي	٥٩
زخارف الجدار الغربي	٥٩
زخارف باب الخليل	٦٠
زخارف القلعة	٦٢

الفصل الثالث	
دراسة تحليلية للزخارف	
أعداد الزخارف الدائرية	٦٤
أماكن وجود الزخارف	٦٦
أحجام الزخارف	٦٩
أنواع الزخارف وأصنافها	٧١

الوحدات الزخرفية الدائرية الفارغة (الغفل)	٧١
الوحدات المزخرفة	٧١
الوحدات النباتية	٧١
الوحدات الهندسية	٧٤
الوحدات الهندسية والنباتية	٧٥
الوحدات الهندسية والنباتية والكتابية	٧٧
الوحدات الزخرفية النصف كروية	٧٨
الهدف من الزخارف الدائرية	٧٩
اصل نشاة الزخارف الدائرية	٨٠
الطريقة المتبعة في نقش الزخارف	٨١
الوحدات الزخرفية المستخدمة ودلالتها	٨٢
المؤثرات الفنية التي آثرت على الزخارف	٨٦
القيم الفنية والتشكيلية للزخارف الدائرية	٨٨
الخلاصة والنتائج	٩٣
ملخص البحث بالعربية	٩٥
ملخص البحث بالإنجليزية	٩٧
التوصيات والمقترحات	٩٩
اللوحات (مخططات الزخارف)	١٠٠
الأشكال	١٥٥
الصور	١٨٣
الوثائق	٢٠١
قائمة المراجع	٢١٩

المقدمة

حظيت فلسطين والقدس بمكانة هامة في العقيدة الإسلامية والتاريخ العربي طيلة فترات الحكم العربي الاسلامي، فقد احتلت القدس مكانة رفيعة في قلوب المسلمين وعقيدتهم ومكانتها هذه لا تنبع من كونها مباركة بالقران الكريم والسنة ومرتبطة مع الأنبياء داود وسليمان وعيسى عليهم السلام، ولا كونها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، بل لأنها أيضا ارض الإسواء والمعراج، حيث أسرى بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام اليها ومنها عرج الى السموات العلى. ليس هذا فحسب بل إن القدس ارض المحشر والمنشر اليها ستزف المدينة ومكة يوم القيامة، وفي أرضها الطاهرة دفن العديد من الصحابة والأولياء الصالحين والمجاهدين.

بعد فتح القدس علي يد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بدا الاهتمام الاسلامي في هذه المدينة وقد برز هذا الاهتمام وانعكس في عدة مظاهر، كان من أوضحها النشاط المعماري. فمنذ بواكير الحكم العربي والإسلامي نالت فلسطين ومدنها رعاية كبيرة، وقد زادت هذه الرعاية والمكانة في الفترة الأموية، هذه الفترة المبكرة التي ساهمت في تكوين وتشكيل العمارة والفنون الإسلامية وساهمت بشكل كبير في رفد النشاط الفني وانعكاسه على الفترات الإسلامية اللاحقة .

وكانت إحدى مظاهر هذا الاهتمام وتلك المكانة إن جعل المسلمون من القدس وعلى فتراتهم و أسرهم متحفا معماريا وفنيا، يزخر بالعديد من الآثار المعمارية سواء أكانت مدنية أو دينية متعددة الأغراض والوظائف، وذلك ما بين جوامع ومساجد ومدارس وزوايا وتكايا واربطة ، وخانات وخوانق وقباب وترب ومقابر ومآذن واسواق وابواب، واسبلة وحمامات، ومساطب واسوار وابراج ودور للعلم .

مما لاشك فيه، إن هذه العمائر المدنية والدينية تعتبر الدليل الملموس على ما قدمته الحضارة الإسلامية في القدس من ازدهار وتفوق، وهذه الآثار هي التي تضع القدس في مصاف اعظم مدن الإسلام من حيث العمران وفن العمارة، وذلك منذ فجر الإسلام الى أواخر العصر العثماني.

وسور القدس هو موضوع هذه الدراسة، دراسة معالمه المعمارية البارزة وما يضمه من الزخارف الفنية الحجرية والتي تزين جدران هذا السور على امتداد (٤ كم)، وذلك دليل على ما أنتجته العبقرية الإسلامية العثمانية مساهمة منها في هذا الإرث الضخم من الفن والعمارة الإسلامية في بيت المقدس، حيث يمثل السور اضخم المباني المعمارية في القدس ويعطي هذا السور للمدينة بعدا حضاريا وجماليا، وتعمل الزخارف التي تزين جدار السور على تأكيد حمالية السور وتعطيه بعدا إسلاميا وحضاريا وإنسانيا، يجعله جدير بالدراسة والبحث.

هذا الإرث الفني والإنساني يجب المحافظة عليه وصونه وضمان نقله بشكل دقيق للأجيال القادمة وبأسلوب علمي سليما وموثقا توثيقا منهجيا وأكاديميا، وذلك بتوثيقه بالكلمة التي تتذوقه والصورة والرسم التي تسجله وتوضح عناصره.

لقد اعتمدت هذه الدراسة بشكل كبير على العمل الميداني وتوثيق ورفع هذه الزخارف، إن عملية توثيق ورسم هذه الزخارف قد آخذت جهدا كبيرا محفوفا بالمخاطر وذلك بسبب ارتفاع بعض الزخارف من جهة ومحاولة إيقافنا من قبل الشرطة وحرس الحدود من جهة أخرى.

لقد تم إنجاز عملية الرفع الهندسي لاكثر من ٨٥% من عدد الزخارف وتم تقدير باقي الزخارف والتي وضعت كلمة تقريبا عند حجمها وارتفاعاتها، لقد اعتمدت الدراسة أولا على تحديد مواقع الزخارف ورسم السكتش السريع لهذه الزخارف، وتسجيل المعلومات الأولية عنها، من ثم جاءت عملية العد والقياس.

وكانت عملية الرسم والعد حسب الموقع ابتداء من الجدار الشمالي الزاوية الشمالية الغربية، وانتهاء بالجدار الغربي الزاوية الغربية الشمالية، ليكون هذا النموذج هو المعتمد في جميع تحليلات ووصف هذه الزخارف.

تحتوي هذه الدراسة على ثلاثة فصول، تم من خلالها تغطية موضوع السور في الفترة العثمانية والزخارف التي تزين السور.

في الفصل الأول تم دراسة السور في الفترات الإسلامية دراسة تاريخية ابتداء من الفترة الأموية الى السور العثماني (الحالي)، وتم التركيز على السور في الفترة العثمانية ودراسة السجلات المتعلقة بالسور، كذلك الاعتماد على كتب الرحالة لدراسة السور في الفترات الإسلامية التي سبقت الفترة العثمانية، وتم من خلال هذا الفصل دراسة دوافع بناء هذا السور، و دراسة المعالم الأثرية لسور القدس الابراج والأبواب والسقاطات مزاغل السهام والشرفات.

الفصل الثاني

وهو محور هذا الرسالة فقد تناول وصفا لهذه الزخارف وبيان موقعها وارتفاعاتها، ومدى بروز هذه الزخارف عن سمت الجدار وقد تم وصف ٥٤ زخرف موزعة على الجدران الأربعة ابتداء من الشمالي فالشرقي فالجنوبي وانتهاء بالجدار الغربي، وذلك حسب الموقع ابتداء من الزاوية الشمالية الغربية وانتهاء بالزاوية الغربية الشمالية. بالإضافة الى تسجيل أهم الملاحظات التي رأيت ان هناك حاجة الى الاشاره لها.

الفصل الثالث

اعتمد هذا الفصل على دراسة وتحليل الزخارف، تصنيف الزخارف دراسة أنواعها أهدافها أماكن وجودها وأعدادها وخصائصها الفنية والتشكيلية واهم العناصر الفنية المستخدمة في هذه الزخارف ودلالتها من الناحية الدينية والرمزية والمؤثرات التي آثرت على هذه الزخارف.

وفي ختام مقدمتي هذه، آمل إن أوفق في تقديم ما أصبو إليه، وان أضيف الجديد في معرفة الحقائق الأثرية والتاريخية والفنية، وان اقدم وثيقة أكاديمية ومنهجية تسد فراغا في مكتبة الفنون بشكل عام ومكتبة فلسطين بشكل خاص، سواء أكانت على المستوى الشعبي او على مستوى الدارسين، وأني آمل استمرار الدراسات الفنية والمعمارية والأثرية في فلسطين والقدس.

الخلاصة

يتجلى الاهتمام الكبير الذى أولاه العثمانيون لمدينة القدس بوضوح من خلال الآثار المعمارية سوء أكانت دينية او مدنية والتي ما زالت شامخة الى يومنا هذا ومن هذه الصروح سور القدس بما ضمه من زخارف نباتية وهندسية ومركبة، ويدل ذلك على الحب الذى أولاه السلطان العثماني سليمان القانوني لهذه المدينة.

فقد بدى واضحا ان الدور العثماني كان دورا ترميما في بناء هذا السور، وان عملية الترميم والبناء جرت على اساسات السور السابق، السور الأيوبي ومن خلال السجلات الشرعية يتضح اشتراك معماريون من مصر ودمشق، ومما يؤكد ذلك العناصر المعمارية المستخدمة في بناء السور.

وتشير السجلات الى انه تم جمع الجبايات من المدن الفلسطينية نابلس والرملة وغزة بالإضافة الى الشام ودمشق وذلك للمساهمة في بناء السور.

وزينت الزخارف الدائرية سور القدس بجدرانه الأربع (الجدار الشمالي والشرقي والجنوبي والغربي)، وبلغت عدد هذه الزخارف (٣٠٢) منها (٨٥) دائرة مزخرفة و(٢١٢)غفل موزعة على السور، حيث استقطب الجدار الشمالي (١٠٩) دائرة مزخرفة منها(٣٥)مزخرفة و(٧٤) غفل، الجدار الشرقي(٩٧) منها(٢٧) مزخرفة و (٧٠) غفل، الجدار الجنوبي(٦٧) منها(١٣)مزخرفة و(٥٤) غفل، الجدار الغربي (٢٩) منها(١٥)مزخرفة و(١٩)غفل. وهناك أسباب لعبت دورا كبيرا في استقطاب وتوزيع الزخارف منها أهميه الاتجاه وعدد الأبواب والأبراج الموجودة في الجدار وسنة البناء ونوعية الحجارة المستخدمة بالإضافة الى سور الحوم والذي يعود في الكثير من أجزاءه الى فترات سابقة للفترة العثمانية، حيث استقطب الأبواب ثلث هذه الزخارف ثم جاءت الأبراج ومزاغل السهام والشرفات والنقوش واخيرا الحنيات المتراجعة.

وكان الهدف من استخدام هذه الزخارف تزيني لتزين السور كذلك استعملت كتعويذة وخاصة على الأبواب.

ومن خلال دراسة هذه الزخارف ثبت إنها تشترك في أحجامها والتي بلغت أقطارها من ٣٠_٨٠سم واشتركت الزخارف المتجاورة بنفس القطر، كذلك برزت هذه الزخارف عن سمت الجدار ما بين ٥-١٥سم عن سمت الجدار وتراوحت في ارتفاعاتها تبعا لارتفاع السور حيث بلغ التي ارتفاع لها ١م أعلى ارتفاع من ١٥-٢٠م.

ويعود اصل استخدام هذه الدوائر الزخرفية الى الأعمدة التي كانت تستخدم لزيادة المقاومة عند الضغط والتي استخدمت في الفترات التي سبقت الفترة العثمانية الأيوبية والبيزنطية والرومانية، وتعد الدوائر المزخرفة الحلقة الأخيرة في حلقة التطور، وذلك بعد الدوائر ذات الاستخدام الإنشائي والدوائر الغفل واخيرا الدوائر المزخرفة.

وتنوعت العناصر الزخرفية حيث استخدمت الزخارف النباتية والهندسية والمركبة والكتابية وكان من هذه الأنواع النجوم بأنواعها المختلفة السداسية والخماسية والعشارية، وصاحبت هذه النجوم في بعض الأحيان الورود والعناصر النباتية الأخرى، كذلك الى جانب الزخارف الأوراق ثلاثية الفصوص واوراق الاكانثوس.

وقد اتبعت الخصائص الفنية والتشكيلية المتعارف عليها في الزخارف الإسلامية بشكل عام والزخارف العثمانية بشكل خاص، وذلك من استخدام الإطار كعنصر زخرفي والتوازن والتناظر والتماثل والتشعب ومراعاة النسب المقبولة جماليا والبساطة والوضوح.

كما ثبت إن هناك علاقة بين هذه الزخارف والزخارف المملوكية، والزخارف العثمانية في المواقع العثمانية في دمشق واستنطبول، وهناك تأثيرات ساسانية وخاصة للزخارف ذات الحلقات الدائرية.

الملخص

يتجلى الاهتمام الكبير الذى أولاه العثمانيون لمدينة القدس بوضوح من خلال الآثـــار المعماريـــة سوء أكانت دينية او مدنية والتي ما زالت شامخة الى يومنا هذا ومن هذه الصروح سور القـــدس بما ضمه من زخارف نباتية وهندسية ومركبة، ويدل ذلك علـــى الحـــب الـــذى أولاه الســـلطان العثماني سليمان القانوني لهذه المدينة.

فقد بدى واضحا ان الدور العثماني كان دورا ترميما في بناء هذا السور، وان عمليـــة الـــترميم والبناء جرت على اساسات السور السابق، السور الأيوبي ومن خلال السجلات الشرعية يتضـــح اشتراك معماريون من مصر ودمشق، ومما يؤكد ذلك العناصر المعمارية المستخدمة فـــي بنـــاء السور.

وتشير السجلات الى انه تم جمع الجبايات من المدن الفلسطينية نابلس والرملة وغزة بالإضافـــة الى الشام ودمشق وذلك للمساهمة في بناء السور.

وزينت الزخارف الدائرية سور القدس بجدرانه الأربع (الجدار الشـــمالي والشـــرقي والجنوبـــي والغربي)، وبلغت عدد هذه الزخارف (٣٠٢) منها (٨٥) دائرة مزخرفة و(٢١٢)غفل موزعـــة على السور، حيث استقطب الجدار الشمالي (١٠٩) دائرة مزخرفة منها(٣٥)مزخرفـــة و(٧٤) غفل، الجـــدار الشـــرقي(٩٧) منـــها(٢٧) مزخرفـــة و (٧٠) غفـــل، الجـــدار الجنوبـــي(٦٧) منها(١٣)مزخرفة و(٥٤) غفل، الجدار الغربي (٢٩) منها(١٥)مزخرفة و(١٩)غفـــل. وهنـــاك أسباب لعبت دورا كبيرا في استقطاب وتوزيع الزخارف منها أهميه الاتجـــاه وعـــدد الأبـــواب والأبراج الموجودة في الجدار وسنة البناء ونوعية الحجارة المستخدمة بالإضافة الى سور الحـــوم والذي يعود في الكثير من أجزاءه الى فترات سابقة للفترة العثمانية، حيث استقطب الأبواب ثلـــث هذه الزخارف ثم جاءت الابراج ومزاغل السهام والشرفات والنقوش واخيرا الحنيات المتراجعة.

وكان الهدف من استخدام هذه الزخارف تزييني لتزين السور كذلك استعملت كتعويـــذة وخاصـــة على الأبواب.

ومن خلال دراسة هذه الزخارف ثبت إنها تشترك في أحجامها والتـــي بلغـــت أقطارهـــا مـــن ٣٠_٨٠سم واشتركت الزخارف المتجاورة بنفس القطر، كذلك برزت هذه الزخارف عن ســـمت الجدار ما بين ٥-١٥سم عن سمت الجدار وتراوحت في ارتفاعاتها تبعا لارتفاع السور حيث بلغ أدنى ارتفاع لها ١م أعلى ارتفاع من ١٥-٢٠م.

ويعود اصل استخدام هذه الدوائر الزخرفية الى الأعمدة التي كانت تستخدم لزيادة المقاومة عند الضغط والتي استخدمت في الفترات التي سبقت الفترة العثمانية الايوبية والبيزنطية والرومانية، وتعد الدوائر المزخرفة الحلقة الأخيرة في حلقة التطور، وذلك بعد الدوائر ذات الاستخدام الإنشائي والدوائر الغفل واخيرا الدوائر المزخرفة.

وتنوعت العناصر الزخرفية حيث استخدمت الزخارف النباتية والهندسية والمركبة والكتابية وكان من هذه الأنواع النجوم بأنواعها المختلفة السداسية والخماسية والعشارية، وصاحبت هذه النجوم في بعض الأحيان الورود والعناصر النباتية الأخرى، كذلك الى جانب الزخارف الأوراق ثلاثية الفصوص واوراق الاكانثوس.

وقد اتبعت الخصائص الفنية والتشكيلية المتعارف عليها في الزخارف الإسلامية بشكل عام والزخارف العثمانية بشكل خاص، وذلك من استخدام الإطار كعنصر زخرفي والتوازن والتناظر والتماثل والتشعب ومراعاة النسب المقبولة جماليا والبساطة والوضوح.

كما ثبت إن هناك علاقة بين هذه الزخارف والزخارف المملوكية، والزخارف العثمانية في المواقع العثمانية في دمشق واستنطبول، وهناك تأثيرات ساسانية وخاصة للزخارف ذات الحلقات الدائرية.

التوصيات والمقترحات

تعاني زخارف السور من عدة إشكاليات من أهمها: تغطيتها بالنباتات المختلفة سواء أكانت الأشواك او الأشجار التي زرعت بجانب السور، والتي تحجب الروية عنها كذلك تحجب أشعة الشمس عنها، بالإضافة الى تغطية هذه الزخارف بالأتربة والغبار مما أدى الى تغير لونها حيث أصبحت ذات لون داكن، ومن المشاكل التي تعنيها الزخارف وخاصة المنخفضة العلو هو تحطم العديد من أجزاءها، وذلك يرجع الى تحطمها بفعل يد الإنسان، وهناك زخارف تضررت بفعل حرب عام ١٩٦٧ من أثار الضربات مازالت واضحة عليها وخاصة زخارف باب النبي داود فهي بحاجة ماسة الى الترميم.

لذلك اقترح عدة توصيات للمحافظة على هذا الإرث الإنساني والحضاري من أهمها:

- ترميم الزخارف الدائرية على السور سواء المزخرفة والغير المزخرفة وتنظيفها واعادة الأجزاء المفقودة منها، وذلك في اقرب فرصة ممكنة لان العديد من الزخارف تعاني من تشوه وتكسير وتحطم وخاصة الزخارف قليلة الارتفاع وهناك زخارف غير واضحة المعالم يغطيها الغبار.
- إزالة النباتات والأشواك التي تحيط بهذه الزخارف، وذلك لما تسببه هذه الأشواك وجذورها من تفسخ للحجر وتحطم وخاصة زخارف برج اللقلق والسور الشرقي بشكل عام.
- إزالة الأشجار التي تحجب الرؤية عن هذه الزخارف وتحجب وصول اشعة الشمس اليها وخاصة في السور الشمالي في المساحة الممتدة من باب الساهره إلى مدرسة الراشدية ولا سيما أن هذه المدادة تحرق كل سنة تقريبا مما يسبب تلف وتآكل وتفتت للحجارة.
- إضاءة الزخارف او تميز هذه الزخارف للفت النظر اليها.
- المراقبة السنوية للزخارف في محاولة للحفاظ عليها على المدى البعيد.
- أيجاد فريق مدرب ومتخصص في نقش الحجر للقيام بعمليات الحفاظ.
- نقش نماذج مصغرة لهذه الزخارف ووضعها في المتحف الاسلامي ليتمكن الجميع من مشاهدتها، وذلك لصعوبة الإحاطة بسور القدس وعدم وجود ممر بجانب السور في الاتجاهات الأربع تمكن الإنسان من السير ومشاهدة روعة هذه الزخارف.